



كان رئيس فيمَنْ كانَ فينا، وَكَانَ لَهُ شَيْخٌ فَلَمَّا عَجَزَ قَالَ لِلرَّئِيسِ: إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ إِلَيْ شِيخًا أَعْلَمُهُ الشَّبِيعَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ شِيخًا مِنْ بَابِ السَّبَاعِ يُعَلَّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ تَظَاهِرَةً مِنَ الثَّوَارِ، فَقَعَدَ إِلَيْهِمْ وَسَمِعَ كَلَامَهُمْ فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى الشَّبِيعَ مَرَّ بِالْتَّظَاهِرَةِ وَقَعَدَ إِلَيْهِمْ، فَإِذَا أَتَى الشَّبِيعَ عَنْهُ، فَشَكَّا ذَلِكَ إِلَى الثَّوَارِ؛ فَقَالُوا لَهُ: إِذَا خَشِيتَ الشَّبِيعَ فَقُلْ: حَبَسَنِي الثَّوَارُ، وَإِذَا خَشِيتَ الثَّوَارَ فَقُلْ: حَبَسَنِي الشَّبِيعُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا أَتَى عَلَى مَعْرِكَةِ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ فِي بَابِ عَمْرُو وَبَابِ السَّبَاعِ.

وكان هناك مراقب دابة يدعى الدابي، فَقَالَ: الْيَوْمُ أَعْلَمُ الشَّبِيعَ أَفْضَلُ أَمِ الثَّوَارُ أَفْضَلُ، فَصَلَّى رُكُعَتِينَ وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمِّ الثَّوَارِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمِّ الشَّبِيعِ فَاكْشِفْ هَذَا الدَّابِي؛ حَتَّى يَمْضِي النَّاسُ، فَدَعَى لِيْلَتَهُ كُلَّهَا، وَإِذَا بِالْمَرَاقِبِ أَنْوَرَ مَالِكَ يَشَقِّ عَصَمَ الطَّاعَةِ لِلَّدَابِيِّ؛ وَيَفْضُحُ أَمْرَهُ، وَمَضَى النَّاسُ فِي التَّظَاهِرِ. فَأَتَى الثَّوَارَ فَأَخْبَرُهُمْ فَقَالَ لَهُ الثَّوَارُ: نَعَمْ يَا شَيْخَ، أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا نَرَى، وَإِنَّكَ سَبُّتَنِي عَنْدَ الرَّئِيسِ، فَإِنْ أُبْتَلِيَتْ فَلَا تَدْلُ عَلَيْنَا.

وَكَانَ الشَّيْخُ يَوَاسِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الطَّوَافَاتِ وَالْأَدِيَانِ، فَسَمِعَ شَيْخَ الرَّئِيسِ بِهِ، فَدَعَاهُ لِمَقَابِلَةِ الرَّئِيسِ، وَكَانَ مَعَ جَمْعِ غَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ، فَتَعَاهَدُوا عَلَى قَوْلِ الْحَقِّ، وَالتَّخْلِي عَنِ الذَّاتِ، وَالابْتِعَادُ عَنِ الْطَّلَبَاتِ الشَّخْصِيَّةِ، وَكَانَ الرَّئِيسُ كُلَّمَا سَمِعَ مِنْهُمْ شَيْئًا، بَدَا كَأَنَّهُ مُسْتَغْرِبًا، يَتْسَاءَلُ عَنْ مَا يُرُوِيُّ هُلْ هَذَا صَحِّيْحٌ؟ وَيَأْخُذُ قَلْمًا وَوَرْقَةً وَيَدُونُ فِيهَا، مَا يُرُوِيُّ أَمَامَهُ، وَقَدْ سَأَلَهُ أَنْ يَعْطِيهِمُ الْأَمَانَ، فَأَعْطَاهُمْ؛ وَلَكِنْ بَعْدَمَا اَتَتَتِ الْمَقَابِلَةُ، عَمَدَ شَيْخُهُ إِلَى احْتِجازِهِمْ، وَتَعْنِيْفِهِمْ، وَسِجْنِهِمْ، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَفْرَجَ عَنْهُمْ، وَعَادَ الشَّبِيعُ وَطَلَبَ مِنَ الشَّيْخِ مَقَابِلَةَ الرَّئِيسِ، مَعَ مَشَايِخَ فَلَمْ يَذْهَبْ، فَاعْتَقَلَهُ وَسَأَلَهُ لِمَذَا لَمْ تَدْهَبْ؟.. فَقَالَ: آتَرْتُ تَرْكَهُمْ عَنْهُمْ، وَعَادَ الشَّبِيعُ وَطَلَبَ مِنَ الشَّيْخِ مَقَابِلَةَ الرَّئِيسِ، مَعَ مَشَايِخَ فَلَمْ يَذْهَبْ، فَاعْتَقَلَهُ وَسَأَلَهُ لِمَذَا لَمْ تَدْهَبْ؟.. فَقَالَ: آتَرْتُ تَرْكَهُمْ عَنْهُمْ، وَعَادَ الشَّبِيعُ وَطَلَبَ مِنَ الشَّيْخِ مَقَابِلَةَ الرَّئِيسِ وَقَالَ: لَنْ أَفْعُلَ مَعَكُ شَيْءًا إِنْ أَنْتَ قَابِلُ الرَّئِيسِ، وَلَكِنْ لَا تَخْبِرْهُ مَا فَعَلْنَاهُ مَعَكِ فِي الْمَرَّةِ الْمَاضِيَّةِ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْأَحْوَالِ النَّاسِ فِي بَابِ السَّبَاعِ وَبَابِ عَمْرُو، وَعَنِ التَّظَاهِرَاتِ فِي الْجَمِيعِ الْمَاضِيَّةِ، فَقَالَ لِهِ الشَّيْخُ: أَلَمْ تَرَهَا!... فَقَلَّبَ الشَّبِيعُ دَفْرَهُ وَقَرَأَ لَهُ التَّقْرِيرَ الْيَوْمِيَّ الَّذِي يَطْلَعُ الرَّئِيسُ عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: هُنَاكَ تَظَاهِرَةً مِنْ ثَلَاثِينَ شَخْصًا فِي بَابِ عَمْرُو، وَعَشْرَةً أَشْخَاصًا فِي بَابِ السَّبَاعِ، وَمِئَةً شَخْصًا تَجَمَّعُوا فِي إِدْلِبِ وَلَكِنَّهُمْ سُرْعَانٌ مَا تَفَرَّقُوا، هُذَا كُلُّ شَيْءٍ. فَقَالَ لِهِ الشَّيْخُ: هَذِهِ أَمَانَةً.. يَجِبُ أَنْ يَعْلَمَ الرَّئِيسُ مَاذَا يَحْصُلُ فِي الْخَارِجِ كَيْ يَتَصَرَّفَ، فَضَحَّكَ الشَّبِيعُ وَدَعَاهُ لِلْدُخُولِ إِلَى الرَّئِيسِ، وَكَانَتْ جَلْسَةً طَوِيلَةً اسْتَمْرَرَتْ سَاعَتَيْنِ وَنَصْفَ، وَقَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ: سَأَلَ الشَّيْخَ الرَّئِيسَ: هَلْ أَسْتَطِعُ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِكُلِّ شَيْءٍ؟ قَالَ لَهُ الرَّئِيسُ: نَعَمْ، فَرَدَ الشَّيْخُ: لَكُنَّكَ فِي الْمَرَّةِ الْمَاضِيَّةِ أَعْطَيْنَا أَمَانَ، وَخَرَجْنَا مِنْ عَنْدِكَ إِلَى شَبِيعَتِكَ يَحْقِقُونَ مَعَنَا، عَنْدَهَا ضَحَّكَ الرَّئِيسُ وَقَالَ: أَخَافُ بَعْدَ هَذِهِ الْجَلْسَةِ أَنْ يَحْقِقُوا مَعِي أَنَا!.. وَبَدَأَتِ الْجَلْسَةُ بِطَرْحِ كُلِّ الْأَمْرِ دُونِ

مواربة، بدا الرئيس هلوعاً، وبدأ الرئيس حديثه بالدعوة إلى تهدئة المظاهرات، وكان يقول: إنه يعلم أن كل المشاكل سببها ممارسات الأمن والمخابرات والشبيحة، قائلاً: "إذا كان لديكم ألف صورة في ذهنكم ففي ذهني عشراتآلاف الصور، فلا تحدثني عن الممارسات السلبية وأعرف أن الحل هو سحب الأمن، لكنني لا أستطيع سحب الأمن إلا بعد تهدئة الشارع"، وأعاد هذا الحديث في اللقاء الذي استمر لأكثر من ساعتين ثلاث مرات. رد عليه الشيخ بالقول: إنك يا سيادة الرئيس تطلب منا معادلة خاطئة لو سمحت، فقال: أنت تطلب أن نهدئ الشارع لتسحب الأمن، وهذا لا نقدر عليه لأن الشارع ليس ملکنا، والشيخ الذي يتحدث مع الناس بغير وتبة الشارع يُضرب ويعتبر خائناً، فالأفضل أن نبقى طرفاً محايداً بين الدولة والناس. وسأل الرئيس عن سبب إرسال أكثر من مائة دبابة لبابا عمرو عاشر فيها دماراً، فأجابه: أن هناك عصابات مسلحة، رد الشيخ: نحن سمعنا كما سمعتم فهل أقيمت القبض عليها؟ فقال: إنها هربت، والمشكلة أننا عندما نرسل الجيش لمكان تهرب هذه العصابات لمكان آخر!.

فسأله الشيخ: يا سيادة الرئيس ما هو الضامن؟، فرد الرئيس: هذه هي المشكلة أن الثقة قد فقدت. عندها قال الشيخ: الحل سياسي وليس بأن نخرج للناس لتهديتهم!، نظر الرئيس بطفولة وقال: أنا نظرتي للمشاكل خطأ!، كنت أخاف من صاحب كل لحية ومن المحجبات، مرة جلست في مطعم فوجدت نساء كلهن محجبات، فقلت: "شو أنا بأفغانستان". عندها سأله الشيخ: سيادة الرئيس، الناس يتساءلون في الشارع: هل رئيسنا يملك القرار أم أنه عاجز، فقال: ما هو السبب؟، فقال الشيخ: أنت تقول إنك لم تعط أوامر بالقتل، لكن القتل مستمر! لماذا لا تعاقب من يعصون الأوامر؟. وهناك قتلة من الجيش اشتهرت أسماؤهم في كل محافظة -وذكر له بعض الأسماء-، علق المشاائق لهؤلاء وبعدها نظم انتخابات وثق أن الناس سينتخبونك. فأجابه بطريقة صدمته وقال -والله على ما أقول شهيد-: أنا عاقيبة عاطف نجيب الذي قلع أظافر الأطفال، وعاقيبة ابنة عمي في اللاذقية جميل الأسد، وعندما تحركت بانياس عزلت زوج بنت خالي، والله عندما عزلته اتصلت خالي وعمرها كبير وعاتبته بأن أعيده لمنصبه بعد أن تنتهي الأزمة، واتصلت الوالدة لنفس الأمر...، عندها صدم الشيخ وقال في نفسه: كيف هو السبيل للحديث مع هذا الإنسان؟ وهو يتحدث بجدية عن "زعـل" خالته ولم يأسف للشعب الذي يموت، لقد احتار بأي لسان يتحدث معه.

والحقيقة التي كشفها حوار هذا الشيخ مع الرئيس أن من يدير البلد أسرة كاملة، الرئيس جزء منها، وما يقال إن القائد والمحرك الحقيقي هو والدة الرئيس التي تملك خبرة مما عايشته مع والده. وأن الذي أوصله إلى سدة الحكم هو تقصير الشعب، وسكته عن استنكار الباطل الذي يصدر من الرئيس ومن شبيحته. وأن القضية الآن ليست مع الرئيس وإنما القضية مع العصابة بأكملها.. واستخلص الشيخ أن هذه الثورة هي ملك لكل السوريين، وأن هذا الشرف يشترك فيه كل السوريين، ويجب على جميع الشعب أن يبادر ويشارك في هذا الشرف. وأنه يجب عليه أن يبقى ثائراً أبداً عظيماً إلى أن يسقط هذا الطاغية.

المصادر: